المقدمة

حققت الرواية الليبية – التي بدأت تحبو في الستينات من خلال أربعة أعمال روائية– نجاحاً متميزاً علي المستوي التقني، وعلى مستوي التراكم العددي للمنتج، ونحن نسعى في هذا الكتاب إلي متابعة بعض الأعمال الروائية التي نحاول من خلالها التعرف علي جانب من المنجز الروائي الليبي فنياً وجمالياً في مستواه الخطابي، وعلى مدى ما حققته الرواية الليبية من زخم على المستوى التقني لتلك البنية العميقة المندسة لحكايتها.

بدأت الرواية الليبية من خلال أعمال الروائيين القدامى، وكانت الرواية الأولى حسب رأي، (د. الصيد أبوديب)"[1]، رواية «مبروكة» للكاتب (حسن ظافر بن موسى) سنة (1937م)، وهي رواية تم إصدارها في سوريا، ثم تلتها أول رواية تنشر محلياً، وهي رواية "اعترافات إنسان" للكاتب "محمد فريد سيالة" سنة (1961م)، الذي كان قد نشر أكثر من عمل روائي في الصحف الليبية في أواخر الخمسينات آنذاك، واستمر التراكم، فكان هناك أربع روايات تقريباً في الستينات، وسبع عشر رواية في السنوات الأربع الأولى من السبعينات، ثم حدث نوع من العزوف عن الكتابة الروائية فكان عدد الروايات التي تم إصدارها في بقية السبعينات كلها، روايتين فقط، وعاد للكتابة الروائية نشاطها مع بداية الثمانينات، فصدرت في الثمانينات اثنتان وعشرون رواية، أي ما يعادل ما تم إصداره من روايات فيما سبق تقريباً.

ومن هؤلاء الروائيين من استمر في الكتابة ومنهم من توقف، ومنهم من أوقفته الظروف وعاد بعد زمن تقريباً وكتب بعد حين، كما نري مع تجربة الأستاذ (أحمد نصر) في روايته «السهل».

دخلت الرواية ليبيا إذن من خلال أعمال (محمد فريد سيالة) وأدخلها (إبراهيم الكوني)، من خلال رباعيته المعروفة بخماسية الخسوف إلي عالم الكتابة الملحمية، واستمر ينحت ملامحه الروائية مثل المجوس والسحرة وغيرها.

من حيث توظيف تقنية تعدد الرواة كما يسجل (د.سمر روحي الفيصل) [ii]، أو تعدد الأصوات كما يراه (أ.أحمد الشيلابي)[iii]، تسجل هذه التقنية للأستاذ (أحمد نصر)، في روايته «وميض في جدار الليل» أي كأول رواية ليبية تتحقق فيها هذه التقنية. ننطلق إذن لنتعرف علي الرواية الليبية من خلال مجموعة من الأدوات الإجرائية التي تنتمي من حيث الجذور للسرديات، كما جسدها – عربياً- (سعيد يقطين) لنحاول عبرها تحقيق رؤية علمية للرواية الليبية عبر المستويات التالية:

أولاً: دراسة الاشتغال على المستوى الزمني في رواية نزيف الحجر (علاقة زمن خطاب مع زمن الحكاية)، وهذا العمل له عِدة أسباب مركزية تدفعنا له لعل أهمها غياب الاشتغال ضمن المنجز النقدي الليبي عن الزمن باستثناء كتاب (فاطمة الحاجي) عن الزمن في الرواية الليبية (دراسة لثلاثية أحمد الفقيه) [iv]. من جهة أخرى وجدنا في نزيف الحجر مادة غاية في التميز، فجانب الزمن يقدم خامة رائعة للاشتغال حيث أزمنة الحكاية، بينها آماد سحيقة ويتم عبر الخطاب تأطيرها ضمن الزمن الحاضر ونجدنا ننتقل من اللحظة الحاسمة للقاء «أسوف» مع «قابيل» ليبدأ الراوي في العودة الزمنية عبر إيقاع خاص ويرسم لنا الجذور الخاصة بكل منهما كما أن مستوى الحكاية أو ما يمكن أن نسميه تأسيسا لسرديات الحكاية، يتميز ببنية غريبة من التضادات بين الفواعل على المستوى الزمني (للسير)، حيث هناك باستمرار بنية صراع، ينتهي بجزاء في كل حدث (سيرة) من الأحداث المركزية السبعة، بحيث أصبحت هذه الأحداث أشبه بالسيرة الوعظية (غير المباشرة). سبب إضافي أخر لهذه الدراسة هو إحساسنا العميق بأن إبراهيم الكوني مغبون كمبدع من قبل النقاد والكتاب في بلادنا، فليس هناك تفاعل حقيقي من كُتَّاب الوطن، مع هذه القامة التي فرضت نفسها في خضم الكتابة السردية، وفي اعتقادي إن الكوني لا يحرجنا نحن الليبيين فقط وإنما العرب عموماً، خصوصا ونحن نترك للغير فرصة دراسته والتفاعل مع تجربته الهائلة دون أن نحاول ممارسة أي اشتغال على هذه النصوص التي تمثل مادة مميزة لأي ناقد يرغب في الاشتغال، لهذا كان لابد على

مستوى الحكاية من أن يكون هناك اشتغال على رواية واو الصغرى أيضا، التي تميزت حكايتها بنظام متميز من السرد نجد فيها فعل (الأسطرة) وفعل صياغة المجتمع الحكائي النمطي المتكرر ضمن تجربة الكوني، كما تتميز بعلاقات غريبة ضمن مستوى الحكاية بين الشخصيات المركزية، لهذا كله أحببنا أن نشتغل عليها لمزيد من المراكمة ضمن اشتغال هذه المدونة الكبرى لإبراهيم الكوني.

ثانياً: بخصوص ثلاثية أحمد الفقيه:

تمثل الثلاثية العمل الأكثر قوة لأحمد الفقيه بعد عمله الروائي الأول (المنشور في كتاب):حقول الرماد، ولشعورنا بالرغبة في تجلية ما رأيناه من بنية متميزة ضمن حكايتها وكذلك من اشتغال متميز ضمن الصيغة السردية، قررنا أن نضمنها هنا ضمن هذا الكتاب باعتبارها مع تجربة الكوني السابقة تشكل جزء من أهم أجزاء التجربة الكتابية الليبية الناضجة فنيا ضمن بداية القرن الماضي.

ثالثاً: التابوت لعبدالله الغزال:

تمثل التابوت في رأيي إرهاص أو إعلان عن تجربة متميزة من الكتابة قادمة، ولقد تلاها ما يؤكد هذا، فتجربة الكاتب التالية في مجموعته السوأة تدل على ذلك وبقوة، والأمر نفسه في رواية القوقعة التي صدرت السنة الماضية للكاتب التي تُحقق في رأيي لون جديد من الكتابة سيكون له إن أستمر بنفس النمطية أن يضع بصمته الخاصة ضمن التجربة العربية كلها، ولعل هذا ما تنبأ به سعيد يقطين وهو يقدم لهذه الرواية (القوقعة):

«عبد الله الغزال روائي متمكن، وله قدرة كبيرة على خلق عوالم روائية تمتح من واقع التجربة المعيشة، وعنده إمكانات مذهلة للتعبير عن فضاءات جديدة ومتنوعة. إنه إغناء متميز للتجربة السردية العربية في ليبيا، ومساهمة غنية في المشهد الروائي العربي)[V].

كما إننا وجدنا في التابوت ضمن الصيغة السردية والرؤية ترابط غريب بحيث أصبحت الصيغة السردية وكذلك الرؤية مادة للفصل بين الشخصيات أو تعدد الرؤى داخل الرواية، لهذا كله أحببنا أن يكون جزء من كتابنا هذا عن الصيغة السردية و الرؤى في هذه الرواية.

ننطلق من سرديات الخطاب في اشتغالنا على الزمن والصيغة السردية والرؤية ضمن القسم الثاني، أما فيما يخص القسم الثالث الخاص بدراسة بنية الحكاية في الروايات المذكورة سابقا، فهو اشتغال حر مع المحافظة على المبادئ الرئيسية الكبرى للسرديات وذلك بسبب غياب المادة النظرية سواء في ليبيا أو في الدراسات العربية، على الرغم من أن هناك دراسات جديدة في الرواية الليبية تناولت مفردات الحكاية كدراسة (حسن الأشلم) الضخمة عن الشخصية في أعمال خليفة حسين مصطفى[vi]، أو دراسة بلسم الشيباني عن الفضاء في رباعية الخسوف للكوني[vii]، لكنها كانت تستند غالبا لمستوى أخر مختلف عن المستوى الذي ننطلق منه ضمن السرديات، حيث نحاول هنا أن نكون متمسكين بالجذور السردية التي انطلقنا منها وسنحاول أن تكون تلك الرؤى والمبادئ على قلتها (ضمن مستوى الحكاية) هي مرتكزنا ضمن الاشتغال والله الموفق.

هوامش المقدمة:

(i) الصيد أبوديب/ معجم المؤلفات الليبية/ مجلس الثقافة العام/ ط:1/2006م/ ص:147.

(ii) سمر روحي الفيصل، نهوض الرواية الليبية، ص 141، (نقلاً عن، أحمد الشيلابي، القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية).

(iii) أحمد محمد الشيلابي، القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية، ط: 1، 2003م، ص91.

(iv) فاطمة الحاجي/ الزمن في الرواية الليبية/ الدار الجماهيرية للشر والتوزيع والإعلان/ ط: 1/2000 م

(v) سعيد يقطين / مقدمة رواية القوقعة/ دار الانتشار العربي/ ط: 1/2006م

(vi) حسن الأشلم/ الشخصية الروائية عند خليفة حسين مصطفى/ مجلس الثقافة العام/ ط: 1/2006م

(vii) بلسم الشيباني/ الفضاء الروائي في رباعية الخسوف/ مجلس الثقافة العام/ ط: 1/2006م.